

مشاركات قُرَّاء سلف

عِنايَةُ المِستشرقين وأذنايهم بُعْلاةِ الصُّوفِيَّةِ

(الْحَلَّاجُ أَنْموذَجًا)

عَلوي بن عبدالقادر السَّقَّاف
المُشرف العام على مُؤَسَّسة الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ

الحمدُ لله على نعمة الإسلام والعقلِ الصحيحِ الموافقِ لسليمِ الفطرةِ،
والصلاةِ والسلامِ على سيّدنا مُحَمَّدٍ نبيِّ الرَّحمةِ، والدّاعيِ إلى ربّه وهاديِ الأُمّةِ،
وعلى آلهِ وجميعِ أصحابه البرّةِ، المُرتضينَ لصُحبتهِ، والمختارينَ لنُصرتِهِ،
والمُبلّغينَ بعدهِ لآثارِهِ وسُنّتهِ.

وبعدُ:

فإنَّ الإسلامَ الذي مَصَدَرُ تلقّيه الكتابُ والسُّنّةُ الصّحيحةُ بفهمِ سلفِ الأُمّةِ؛
هو الإسلامُ الحقُّ الصّحيحُ، الذي لو استمَسَكَتْ به الأمةُ فَسَتَتَصِرُ لا مَحالةً؛
ولأنَّ المُستشرقينَ وأمثالهم يعلمون ذلك جيّدًا فهم لا يفتوّونَ يَنشُرُون ما يُخالفُ
هذا الدّينَ الصّحيحَ من الضّلالاتِ، والخُرافاتِ، والخُزَعِلاتِ، والبِدَعِ،
والكُفُريّاتِ بينَ المُسلمينَ، ساعدهم على ذلك تطوُّراتُ العَصْرِ الحديثِ، بِدَايَةُ
مِن تطوُّرِ الطّباعةِ قَبْلَ قرنينِ من الزّمانِ تقريبا، ثم اختراعِ المِدياعِ، والتّلفازِ، ثمَّ
انتشارِ مَواقِعِ التّواصلِ الاجتماعيِّ عبرَ الإنترنتِ في الوقتِ الحاضرِ.

وكانتِ البدَايَةُ بعَصْرِ الطّباعةِ؛ حيثُ نَشِطَ المُستشرقونَ في البَحْثِ والتّنقيبِ
عن كُتُبِ غُلاةِ الصّوفيّةِ، كالحلّاجِ، والتّلمسانيِّ، وابنِ الفارضِ، وابنِ عربيِّ، وابنِ
سبعينَ، وغيرِهِم، فقاموا بِتَحقيقِها وطباعتِها طباعةً أنيقةً في ذلك العَصْرِ، ونَشروها
في بلادِ المُسلمينَ بُلُغاتٍ عِدَّةٍ، وخاصّةً اللُّغةَ العربيّةَ، وكتبوا عنهم وألّفوا في
سِيرِهِم، ومِن هؤُلاءِ⁽¹⁾:

١- دي ساسي (ت: ١٨٣٨م) مُستشرقٌ فرنسيٌّ: حَقَّقَ ونَشَرَ شِعَرَ ابنِ

الْفَارِضِ، وَتَرَجَمَ قَصِيدَةَ (البُرْدَةُ) لِلْبُوصِيرِيِّ.

٢- دي تاسي (ت: ١٨٧٨ م) مُسْتَشْرِقٌ فَرَنْسِيٌّ: حَقَّقَ (منطق الطير) للشاعرِ الصُّوفِيِّ الفَارِسِيِّ فَرِيدِ الدِّينِ العَطَّارِ.

٣- دي كورتاي (ت: ١٨٨٩ م) مُسْتَشْرِقٌ فَرَنْسِيٌّ: حَقَّقَ كِتَابَ (تذكرة الأولياء) لِفَرِيدِ الدِّينِ العَطَّارِ.

٤- مورنيو (ت: ١٨٩٢ م) مُسْتَشْرِقٌ إِيطَالِيٌّ: كَتَبَ فِي التَّصَوُّفِ العَرَبِيِّ وَالهِنْدِيِّ.

٥- دي مينار (ت: ١٩٠٨ م) مُسْتَشْرِقٌ فَرَنْسِيٌّ: تَرَجَّمَ كِتَابَ (المنقذ من الضلال) لِلْغَزَالِيِّ.

٦- جولد تسيهر (ت: ١٩٢١ م) مُسْتَشْرِقٌ يَهُودِيٌّ مَجْرِيٌّ: كَتَبَ عَنِ الحَلَّاجِ مادِحًا لَهُ، وَشَارَحًا طَرِيقَتَهُ.

٧- هيار (ت: ١٩٢٧ م) مُسْتَشْرِقٌ فَرَنْسِيٌّ: اِهْتَمَّ بِالطَّرِيقَةِ البِكْتَاشِيَّةِ وَالمَوْلَوِيَّةِ، وَتَرَجَّمَ شِعْرَ التَّلْمَسَانِيِّ.

٨- كارلو نلينو (ت: ١٩٣٨ م) مُسْتَشْرِقٌ إِيطَالِيٌّ: حَقَّقَ كِتَابَ (الفلسفة الإشرافية) لابن سينا، وَحَقَّقَ شِعْرَ ابْنِ الفَارَضِ.

٩- مرجليوث (ت: ١٩٤٠ م) مُسْتَشْرِقٌ إِنْجِلِيزِيٌّ: أَلَّفَ فِي سِيرَةِ عَبْدِ القَادِرِ الجِيلَانِيِّ.

١٠- ماسينيون (ت: ١٩٦٢ م): مِنْ أَكْبَرِ المُسْتَشْرِقِينَ الفَرَنْسِيِّينَ المِهْتَمِّينَ بِالحَلَّاجِ وَنَشْرِ فِكْرِهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَشَرَ كِتَابَ (الدِّيوان) وَ(الطَّوَّاسِين) لِلْحَلَّاجِ، وَسَيَأْتِي الحَدِيثُ عَنْهُمَا.

١١- آرثر أربري (ت: ١٩٦٩م) مُستشرق إنجليزي: حَقَّقَ كِتَابَ (التَّعْرِفِ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ) لِلْكَلاَباذِيِّ.

وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَهْتَمَّ الْمُسْتَشْرِقُونَ بِنَشْرِ كُتُبِهِمْ هُمْ مِنْ غُلَاةِ الصُّوفِيَّةِ أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَالِاتِّحَادِ وَالْحُلُولِ، الَّذِينَ حَكَمَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ بِكُفْرِهِمْ وَزَنَدَقَتِهِمْ كَمَا سَيَأْتِي؛ فَلِمَاذَا كُلُّ هَذَا الْإِهْتِمَامِ بِهِمْ؟!

أَمَّا الْحَلَّاجُ فَهُوَ أَكْثَرُ مَنْ أَهْتَمُّوا بِهِ وَبِتَحْقِيقِ كُتُبِهِ وَنَشْرِهَا فِي أَوْسَاطِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِلْأَسْفِ اغْتَرَّ بِهَذَا كَثِيرٌ مِمَّنْ يَعُدُّ نَفْسَهُ - وَيَعُدُّهُ الْبَعْضُ - مِنْ الْمُثَقَّفِينَ وَالْمَتَنَوِّرِينَ!

فَمَنْ هُوَ الْحَلَّاجُ؟ وَمَتَى عَاشَ؟ وَمَا عَقِيدَتُهُ؟ وَمَاذَا قَالَ عَنْهُ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ؟

هَذَا مَا سَتَجِدُ الْإِجَابَةَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْمَخْتَصِرَةَ.

مَنْ هُوَ الْحَلَّاجُ؟

هُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورِ الْحَلَّاجِ، أَصْلُهُ مِنَ الْبَيْضَاءِ بِفَارَسَ، وَكَانَ جَدُّهُ مَجُوسِيًّا، نَشَأَ بِوَأَسْطَ، وَقِيلَ: بُسْتَرَ بِخُرَاسَانَ. وَتَنَقَّلَ بَيْنَ بَغْدَادَ وَالْبَصْرَةَ، وَمَكَّةَ وَخُرَاسَانَ، خَالَطَ الصُّوفِيَّةَ، وَصَحِبَ الشُّبَلِيَّ، وَالْجُنَيْدَ، وَعَمَرَ الْمَكِّيَّ، وَغَيْرَهُمْ، غَلَا فِي التَّصَوُّفِ وَشَطَحَ، حَتَّى ادَّعَى حُلُولَ الْإِلَهِ فِيهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ عُلوًّا كَبِيرًا، وَتَشَيَّعَ وَغَلَا فِي التَّشَيُّعِ، حَتَّى سَلَكَ مَسَلِكَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ، وَكَانَ يُظْهِرُ مَذْهَبَ الرَّفِضِ عِنْدَ الرَّافِضَةِ، وَيُظْهِرُ مَذْهَبَ الصُّوفِيَّةِ لِلْعَامَّةِ، وَتَعَلَّمَ

السَّحَر، ونَطَقَ بِأَعْظَمِ أَقْوَالِ الْكُفْرِ وَالزَّنَدَقَةِ، وَالْحُلُولِيَّةِ، وَالْإِتِّحَادِ، وَوَحْدَةِ
الْوُجُودِ، وَكُلِّ ذَلِكَ سِيَّئِي مُوثَّقًا.

وَأَمَّا عَنْ تَسْمِيَّتِهِ بِالْحَلَّاجِ؛ فَقَدْ رَوَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي ((تَارِيخِ بَغْدَادِ))
(٨ / ٦٩٠) عَنْ ابْنِ الْحَلَّاجِ، أَنَّهُ قَالَ عَنْ وَالِدِهِ زَاعِمًا أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ: (كَانَ يَتَكَلَّمُ
عَلَى أَسْرَارِ النَّاسِ وَمَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَيُخْبِرُ عَنْهَا؛ فَسُمِّيَ بِذَلِكَ حَلَّاجَ الْأَسْرَارِ، فَصَارَ
الْحَلَّاجُ لِقَبِّهِ!) وَقِيلَ: كَانَ أَبُوهُ حَلَّاجًا. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. [يُنْظَرُ: ((تَارِيخِ الْإِسْلَامِ))
لِلذَّهَبِيِّ (٧ / ١٧)].

وَالْحِلَاجَةُ تَخْلِيصُ الْقَطَنِ مِنْ بَذْرِهِ، وَضَرْبُهُ بِالْمِحْلَجِ (وَهِيَ آلَةُ الْحَلِجِ)
لِيرِقُّ.

ظَهَرَ أَمْرُهُ سَنَةَ (٢٩٩ هـ)، فَافْتَتَنَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ وَتَبِعُوا طَرِيقَتَهُ الَّتِي كَانَ
يَتَنَقَّلُ فِي الْبُلْدَانِ لِنَشْرِهَا سِرًّا، ثُمَّ أَصْبَحَ يُعْلِنُ عَنْهَا، وَهَذَا مَا أَدَّى إِلَى قَتْلِهِ عَامَ
(٣٠٩ هـ) [يُنْظَرُ: ((تَارِيخِ بَغْدَادِ)) لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٨ / ٧٠٤)، ((وَفِيَّاتِ
الْأَعْيَانِ)) لِابْنِ خُلِكَانَ (٢ / ١٤٢)].

بَعْضُ أَقْوَالِ الْحَلَّاجِ الْكُفْرِيَّةِ:

سَأَقْتَصِرُ هُنَا عَلَى جُمَلٍ مِنْ أَقْوَالِ الْحَلَّاجِ الْكُفْرِيَّةِ، بَعْضُهَا مِنْ كُتُبِهِ الَّتِي
حَقَّقَهَا وَنَشَرَهَا بَعْضُ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَأَذْنَابُهُمْ؛ كَالدِّيَّانِ وَكِتَابِ الطَّوَّاسِينِ،
وغيرهما، وَبَعْضُهَا نَقَلَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الثَّقَاتِ فِي كُتُبِهِمْ عَمَّنْ عَاصَرَهُ؛ فَلَا مَجَالَ
لِلتَّشْكِكِ فِيهَا وَلَا فِي صِحَّةِ ثُبُوتِهَا عَنْهُ؛ بَلْ إِنَّ مُحِبِّيهِ وَالْمُدَافِعِينَ عَنْهُ لَمْ يَنْفُوهَا،
بَلْ رَاحُوا يُؤَوِّلُونَهَا تَأْوِيلَاتٍ بَعِيدَةً عَنِ الصَّوَابِ، كَمَا هِيَ عَادَةُ الْقَوْمِ!

أولاً: أقواله من كتبه المطبوعة

للحلاج عددٌ من الكتبِ والرّسائلِ التي كان يُرسلُها لأتباعه، نَقَّبَ عنها المُستشرقون كتنقيبِ الضُّباعِ عن الجِيفِ، حتى أخرجوها وطَبَعوها ونَشروها؛ فكانت أكبرَ شاهدٍ على كُفْرِهِ وَزَنَدَقَتِهِ، فانقلَبَ السَّحْرُ على السَّاحِرِ! فَإِنَّهُ لو لم تُطَبَعْ هذه الكُتُبُ لكان هناكَ مَجَالٌ لَطَعَنِ البَعْضِ فيما نسبَه العلماءُ الثَّقَاتُ إليه، ولَعَدُّوه تحاملاً عليه، أما وهي في كُتُبِهِ، فلا مَجَالٌ لِلطَّعْنِ فيها. وَمِنْ خِلالِ قِراءَتِي رَسائِلَهُ وَكِتابِيهِ: الدِّيوانَ والطَّواسينَ، ومُقارنتِها بما نقلَه العُلَماءُ الثَّقَاتُ في كُتُبِهِمْ وَجَدْتُ أَنَّ كَلامَهُم مُطابِقٌ لِكلامِهِ في كُتُبِهِ.

هذا، وقد أَكثَرْتُ مِنَ النُّقُولِ حَتَّى تَتَبَيَّنَ لِلقارِئِ حَقيقَةُ الحَلاجِ وما كان يَدَعُو إليه، ولا يَغْتَرُّ بما يَعتَذرُ به البَعْضُ له وما يُصوِّرونه مِنْ أَنَّهُ قُتِلَ مَظلوماً، وأن لا ذَنْبَ لَهُ إِلاَّ عِشْقُهُ الإِلهيَّ وَهُيامُهُ في ذاتِ اللَّهِ.

وَمِنْ كُتُبِهِ المَطبوعَةِ (٢٧):

- ١- الدِّيوانُ: وهو دِيوانُ شِعْرِهِ الَّذي يَقْطُرُ كُفْراً وَزَنَدَقَةً، وَأوَّلُ مَنْ نَشَرَهُ المُستشرقُ الفَرَنسيُّ ماسينيون، ثم أعاد طِباعَتَهُ كَثيرٌ مِنَ العَرَبِ!
- ٢- الطَّواسينَ: وَأوَّلُ مَنْ نَشَرَهُ ماسينيون، ثم أعاد نَشْرَهُ قاسمُ مُحَمَّدَ عَبَّاسَ، و(الطَّواسينَ) مِثْلُ (الحواميم)؛ فَهِيَ جَمْعُ (طَس) أو (طاسينَ)، وَفِيهِ عَشْرَةُ طَواسينَ؛ وَهِيَ: طَسُ السَّراجِ، وَطَسُ الفَهِمِ، وَطَسُ الصِّفاءِ، وَطَسُ الدائِرَةِ، وَطَسُ النُّقْطَةِ، وَطَسُ الأَزَلِّ وَالإِتابَسِ، وَطَسُ المَشِيئَةِ، وَطَسُ التَّوْحيدِ، وَطَسُ الأَسرارِ فِي التَّوْحيدِ، وَطَسُ التَّنْزِيهِ! وَمَنْ قَرَأَ الطَّواسينَ، وَاطَّلَعَ عَلَيْها وَعَلَى

الرُّسوماتِ التي عَبَّرَ بها عن كُلِّ طاسين؛ لا يُشكُّ أَنَّها طَلاسيمُ كَطَلاسيمِ السَّحرةِ،
ورُّسوماتِ الإسماعيليةِ في كُتُبِهِم.

٣- التفسير: وهو تفسيرٌ باطنيٌّ، جَمَعَ بَعْضُهُ قاسمَ مُحَمَّدَ عَبَّاسٍ في كِتابِهِ
(الأعمال الكاملة للحلاج)، ورَتَّبَ الآياتِ حَسَبَ تَرتيبِ المِصحَفِ، ورَغَمَ ما
فيه مِن خُزَعِباتٍ وضَلالاتٍ، إِلَّا أَنَّ ما فيه أَحَسَنُ حالًا مِمَّا في الدِّيوانِ
والطَّواسينِ.

٤- بُستان المعرفة: وهو عبارةٌ عن وُريقاتٍ قليلةٍ مَطبوعةٍ ضِمَّنَ (الأعمال
الكاملة للحلاج)، وجُلَّها طَلاسيمُ ورُّموزٌ.

٥- أقوالٌ ومَروياتٌ: جَمَعها قاسمَ مُحَمَّدَ عَبَّاسٍ مِن كُتُبِ التَّصوُّفِ وأودَعها
في كِتابِهِ (الأعمال الكاملة للحلاج).

٦- أحاديثٌ ورواياتٌ: أوردَ فيها كَلِماتِهِ على طَريقةِ المِحدِّثينِ - حدَّثنا،
حدَّثنا - لكنْ رُواتُهُ أوهامٌ لا رِجالٌ، كما سيأتي!

بعضُ أقوالِهِ مِن كِتابِ ((الدِّيوان)):

١- قال (ص: ٢٨٨):

لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ، يا سِرِّي ونَجْوائِي *** لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ، يا قَصدِي ومَعنائِي
أدعوكَ، بَلْ أنتَ تَدعوني إِلَيكَ؛ فَهَلْ *** نَاجيتُ إِيَّاكَ أمْ نَاجيتُ إِيائِي
يا كُلَّ كُليِّ ويا سَمعِي ويا بَصري *** يا جُمَلتي وتَباعِضِي وأجْزائِي
يا كُلَّ كُليِّ، وكُلَّ الكَلِّ مُلتبِسٌ *** وكُلَّ كَلِّكَ مَلبوسٌ بِمَعنائِي

٢- وقال (ص: ٢٩١):

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ *** سِرَّ سَنَا لَاهُوتِهِ الثَّاقِبِ
ثُمَّ بَدَأَ فِي خَلْقِهِ ظَاهِرًا *** فِي صُورَةِ الْآكِلِ وَالشَّارِبِ
حَتَّى لَقَدْ عَايَنَهُ خَلْقَهُ *** كَلْحِظَةِ الْحَاجِبِ بِالْحَاجِبِ

يعني: باللاهوتِ الإله، وبالناسوتِ الإنسان!

يقول في هذه الأبيات: إنَّ الله تعالى له حالةٌ لاهوتيةٌ علويةٌ، وحالةٌ ناسوتيةٌ إنسانيةٌ، إذ ظهر في صورة الإنسان الآكلِ والشاربِ - وهذا عينُ الحُلُولِ - نعوذُ بالله من الضلالِ، ومن الكذبِ والافتراءِ على الله تعالى بغيرِ علمٍ.

٣- وقال (ص: ٢٩٥):

رَأَيْتُ رَبِّي بَعَيْنِ قَلْبِي *** فَقُلْتُ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنْتَ

٤- وقال (ص: ٢٩٧):

كَفَرْتُ بِدِينِ اللَّهِ وَالْكَفْرُ وَاجِبٌ *** عَلَيَّ، وَعِنْدَ الْمُسْلِمِينَ قَبِيحٌ

٥- وقال (ص: ٢٩٨):

قَدْ تَصَبَّرْتُ، وَهَلْ يَصْبِرُ قَلْبِي عَنْ فُؤَادِي؟

مَا زَجَّتْ رُوحُكَ رُوحِي فِي دُنُوي وَبُعَادِي

فَأَنَا أَنْتَ كَمَا أَنَّكَ أَنِّي وَمُرَادِي

٦- وقال (ص: ٣١٤):

وُجُودُهُ بِي، وَوُجُودِي بِهِ *** وَوَصَفُهُ فَهُوَ لَهُ وَاصِفٌ

لَوْلَاهُ لَمْ أَعْرِفْ رَشَادِي وَلَوْ *** لَايَ لَمَا كَانَ لَهُ عَارِفٌ

٧- وقال (ص: ٣١٦) -مخاطبًا الله جلَّ جلاله-:

جُبِلْتُ رُوحُكَ فِي رُوحِي كَمَا *** يُجْبَلُ الْعَنْبَرُ بِالْمِسْكِ الْعَبْقُ
فَإِذَا مَسَّكَ شَيْءٌ مَسَّنِي *** فَإِذَا أَنْتَ أَنَا لَا نَفْتَرِقُ

٨- وقال (ص: ٣١٩) -مخاطبًا الله عزَّ وجلَّ-:

مُزِجَتِ رُوحُكَ فِي رُوحِي كَمَا *** تُمَزَّجُ الْخَمْرَةُ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ
فَإِذَا مَسَّكَ شَيْءٌ مَسَّنِي *** فَإِذَا أَنْتَ أَنَا فِي كُلِّ حَالٍ

٩- وقوله (ص: ٣٢٤):

أَلَا أَبْلِغُ أَحِبَّائِي بِأَنِّي *** رَكِبْتُ الْبَحْرَ وَأَنْكَسَرَ السَّفِينَةَ
عَلَى دِينِ الصَّلِيبِ يَكُونُ مَوْتِي *** وَلَا الْبَطْحَا أُرِيدُ وَلَا الْمَدِينَةَ

١٠ - وقال (ص: ٣٢٤):

أَأَنْتَ أُمُّ أَنَا هَذَا فِي إِلَهَيْنِ؟ *** حَاشَاكَ حَاشَايَ مِنْ إِثْبَاتِ اثْنَيْنِ

١١- وقال (ص: ٣٢٥):

عَجِبْتُ مِنْكَ وَمَنِّي *** يَا مُنِيَّةَ الْمُتَمَنِّي
أَذْنَيْتَنِي مِنْكَ حَتَّى *** ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَنِّي
وَعَبْتُ فِي الْوَجْدِ حَتَّى *** أَفْنَيْتَنِي بِكَ عَنِّي

١٢- وقال (ص: ٣٢٧):

أنا أنت بلا شك *** فسبحانك سبحاني
وتوحيدك توحيدي *** وعصيانك عصياني
وإسقاطك إسقاطي *** وغفرائك غفراني

١٣- وقوله (ص: ٣٣٠):

أنا من أهوى ومن أهوى أنا *** نحن رُوحانِ حللنا بدنًا
فإذا أبصرتني أبصرته *** وإذا أبصرته أبصرتنا

١٤- وقوله (ص: ٣٣٤):

لست بالتوحيد ألهو *** غير أنني عنه أسهو
كيف أسهو كيف ألهو *** وصحيح أنني هو

أقواله من كتابه ((الطواسين)):

١- قال (ص: ١٩٠):

جُحودي فيك تقدس *** وعقلي فيك تهويس
وما آدم إلاك *** ومن في البين إبليس

٢- وقال (ص: ١٩٢):

(تناظرت مع إبليس وفرعون في الفتوة (يعني: القوة والسيطرة)؛ فقال
إبليس: إن سجدت سقط عني اسم الفتوة. وقال فرعون: إن آمنت برسوله سقطت
من منزلة الفتوة. وقلت أنا أيضًا: إن رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط

الْفُتُوَّةِ. وَقَالَ إِبْلِيسُ: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ} [الأعراف: ١٢] حين لم يرَ غيره غيرًا (يُشيرُ إلى وَحْدَةِ الْوُجُودِ). وَقَالَ فِرْعَوْنُ: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: ٣٨] حين لم يَعْرِفْ في قَوْمِهِ مَنْ يَمِيزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ (مِمَّا يَعْنِي أَنَّ فِرْعَوْنَ مَعْدُورٌ فِي قَوْلِهِ ذَلِكَ!). وَقُلْتُ أَنَا: إِنَّ لَمْ تَعْرِفُوهُ فَاعْرِفُوا آثَارَهُ، وَأَنَا ذَلِكَ الْأَثَرُ، وَأَنَا الْحَقُّ؛ لِأَنِّي مَا زِلْتُ أَبْدَأُ بِالْحَقِّ حَقًّا، فَصَاحِبِيًّا وَأَسْتَاذِيًّا إِبْلِيسُ وَفِرْعَوْنُ. وَإِبْلِيسُ هُدِّدَ بِالنَّارِ وَمَا رَجَعَ عَنْ دَعْوَاهِ، وَفِرْعَوْنُ أُغْرِقَ فِي الْيَمِّ وَمَا رَجَعَ عَنْ دَعْوَاهُ وَلَمْ يُقَرَّرْ بِالْوِاسِطَةِ الْبَتَّةِ، وَلَكِنْ قَالَ: {آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ} [يونس: ٩٠]، وَإِنْ قُتِلْتُ، أَوْ صُلِبْتُ، أَوْ قُطِعَتْ يَدَايَ وَرِجْلَايَ؛ لَمَا رَجَعْتُ عَنْ دَعْوَايَ).

كَلِمَاتٌ مِنْ كِتَابِهِ ((بُسْتَانُ الْمَعْرِفَةِ)):

وَهِيَ كَلِمَاتٌ أَشْبَهُ بِالطَّلَاسِمِ وَتَفْوُحٌ مِنْهَا رَائِحَةُ الْحُلُولِ.

قَالَ (ص: ٢١٥-٢١٦) وَهُوَ يَصِفُ الْمَعْرِفَةَ:

(صَاحِبُهَا وَاحِدٌ، مَاحِقُهَا قَاصِدٌ، مَارِسُهَا لَاحِدٌ، وَامِقُهَا رَامِدٌ، لَاصِقُهَا

فَاقِدٌ، بَارِقُهَا مَآكِدٌ، تَارِقُهَا شَاكِدٌ، مَارِقُهَا لَاقِدٌ، سَارِعُهَا جَاهِدٌ، صَارِعُهَا خَامِدٌ،

خَائِفُهَا زَاهِدٌ، لَاعِدُهَا رَاصِدٌ، أَطْنَابُهَا، أَرْبَابُهَا، أَسْبَابُهَا، كَانَّهَا كَانَّهَا، كَانَّه

كَانَّه، كَانَّه، كَانَّهَا كَانَّهَا، كَانَّه كَانَّه، بُنْيَانُهَا أَرْكَانُهَا، وَأَرْكَانُهَا بُنْيَانُهَا، أَصْحَابُهَا

أَصْحَابُهَا، بُنْيَانُهَا بِهَا، لَهَا بِهَا، لَا هِيَ هُوَ، وَلَا هُوَ هِيَ، وَلَا هُوَ إِلَّا هِيَ، وَلَا هِيَ إِلَّا

هُوَ، وَلَا هُوَ إِلَّا هُوَ).

نقل من ((نصوص الولاية))

قال (ص: ٢٢٣):

(أيها الناس، إنه يحدث الخلق تطفًا فيتجلى لهم، ثم يستتر عنهم تربيةً لهم، فلو لا تجليته لكفروا جملةً، ولو لا ستره لفتنوا جميعًا، فلا يديم عليهم إحدى الحاليتين، لكنني ليس يستتر عني لحظة فأستريح، حتى استهلكت ناسوتيتي في لاهوتيته، وتلاشى جسمي في أنوار ذاته، فلا عين لي ولا أثر، ولا وجه ولا خبر).

نقول من رسائله لإتباعه:

١ - قال (ص: ٢٣٣):

(السلام عليك يا ولدي، ستر الله عنك ظاهر الشريعة، وكشف لك حقيقة الكفر؛ فإن ظاهر الشريعة كُفِرَ خفيًا، وحقيقة الكفر معرفة جلية). وهذا النقل وحده يكفي لمعرفة حقيقة مقاصد المعتنين به وبسيرته؛ ففيه بُغيتهم من تجريء الناس على عدم التقيّد بحدود الشرع، ولا الوقوف عند رسوم الشريعة وأحكامها الظاهرة؛ فإن ظاهرها - حسب زعمه - كُفِرَ خفيًا! نعوذ بالله من الضلال والإضلال.

٢ - وقال (ص: ٢٣٥):

(يُمكنني أتكلّم بمثل هذا القرآن).

٣- وقال (ص: ٢٤٣):

(الكُفْرُ وَالْإِيمَانُ يَفْتَرِقَانِ مِنْ حَيْثُ الْأَسْمُ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْحَقِيقَةُ فَلَا فَرْقَ
بَيْنَهُمَا)

٤- وقال (ص: ٢٥٣):

(لَوْ أَلْقَيْ مِمَّا فِي قَلْبِي ذُرَّةً عَلَى جِبَالِ الْأَرْضِ لَذَابَتْ، وَإِنِّي لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي
النَّارِ لَأَحْرَقْتُ النَّارَ، وَلَوْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ لَأَنْهَدَمَ بُيَانُهَا).

٥- وقال (ص: ٢٥٤):

(أَصْبَحْتُ لَوْ طَارَتْ مِنِّي شَرَارُهُ، لَأَحْرَقْتُ مَالِكًا وَنَارَهُ) يعني: مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ.

أَقْوَالُهُ مِنَ الرَّوَايَاتِ وَالْأَحَادِيثِ:

وهذه أمثلة من ضلالاته وكذبه على الله عز وجل، وتهكمه على طريقة
المُحدِّثين الثقات في حكاية أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أنه لا
يُحدِّثه بشرٌ عن بشرٍ، بل يُحدِّثه إيمانه ورؤيته وعقله... عن الله وعن اللوح
المحفوظ... إلخ (ص: ٢٦٩-٢٧١):

١- حدَّثنا الإيمانُ المعروفُ، عن اليقينِ الموجودِ، عن العلمِ القديمِ: إنَّ اللهَ
جَلَّ جَلَالُهُ أَمْتَحَنَ خَلْقَهُ بِالْدُّنْيَا...

٢- حدَّثنا بالرُّؤيا الصَّادقة، عن المَلِكِ الحَكِيمِ، قال: حدَّثنا الكروْبُ الكَبِيرُ،
عن اللُّوحِ المحفوظِ، عن العلمِ، قال: ما تَعَبَّدَ اللهُ خَلْقَهُ بِشَيْءٍ أَعَزَّ مِنَ المَحَبَّةِ لَهُ
وفيه...

٣- حَدَّثَنَا الْعَقْلُ الْوَجِيهُ، عَنْ سِدْرَةِ الْمُتَهَي، عَنْ الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، عَنْ الرُّوحِ الْمَكْنُونِ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَعْرُوفٌ بِآيَاتِهِ، مَذْكُورٌ بِصَنَائِعِهِ...

٤- حَدَّثَنَا بَيْتُ اللَّهِ تَعَالَى، عَنْ قَوْسِ اللَّهِ، عَنْ بَيْتِ اللَّهِ الْوَسِيعِ، قَالَ: رَحِمَاتُ رَبِّي لَا تُحْصَى...

٨- حَدَّثَنَا الْيَاقُوتُ الْأَحْمَرُ، عَنِ الضِّيَاءِ الْمَخْمَرِ، عَنِ الصُّورَةِ الْكَائِنَةِ، عَنِ الشَّانِ الْمَشْهُودِ، عَنِ الْحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ، أَنَّهُ قَالَ: ...

٩- حَدَّثَنَا الْأَسْمُ الْعَزِيزُ، عَنِ الرُّوحِ الْقَدِيمِ، عَنِ الْمَعْنَى الْمَحِيطِ، عَنِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ: وَجَبَتْ رُوحِي الْمَأْلُوفَةُ لِأَهْلِ سِمْتِي...

ثَانِيًا: أَقْوَالُهُ مِمَّا نَقَلَهُ عَنْهُ مُعَاَصِرُوهُ

١- قَالَ أَبُو بَكْرِ الصُّولِيُّ - وَهُوَ مَمَّنْ عَاصَرَ الْحَلَّاجَ وَجَالَسَهُ - كَمَا فِي كِتَابِ ((تَارِيخِ الْإِسْلَامِ)) لِلذَّهَبِيِّ (٧ / ١٨): (كَانَ حِينًا يَنْتَقِلُ فِي الْبِلَادِ، وَيَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ، وَيَقُولُ لِلوَاحِدِ مِنْ أَصْحَابِهِ: أَنْتَ آدَمُ؛ وَلِذَا (أَي: لِهَذَا): أَنْتَ نُوحٌ؛ وَلِذَا: أَنْتَ مُحَمَّدٌ. وَيَدَّعِي التَّنَاسُخَ، وَأَنَّ أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ انْتَقَلَتْ إِلَيْهِ).

٢- وَنَقَلَ عَنْهُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي ((الْمُنْتَظَمِ)) (١٣ / ٢٠٢) أَنَّهُ قَالَ: (قَدْ رَأَيْتُ الْحَلَّاجَ وَجَالَسْتُهُ، فَرَأَيْتُ جَاهِلًا يَتَعَاقَلُ، وَغَيْبًا يَتَبَالِغُ، وَفَاجِرًا يَتَزَهَّدُ، وَكَانَ ظَاهِرُهُ أَنَّهُ نَاسِكٌ صُوفِيٌّ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ أَهْلَ بَلَدِهِ يَرُونَ الْإِعْتِرَالَ صَارَ مُعْتَزِلِيًّا، أَوْ يَرُونَ الْإِمَامَةَ صَارَ إِمَامِيًّا، وَأَرَاهُمْ أَنَّ عِنْدَهُ عِلْمًا مِنْ إِمَامَتِهِمْ، أَوْ رَأَى أَهْلَ السُّنَّةِ صَارَ سُنِّيًّا، وَكَانَ خَفِيفَ الْحَرَكَةِ مُشْعَبِدًا))

٣- وقال عمرو بن عثمان - كما في ((الفرق بين الفرق)) لعبد القاهر البغدادي (ص: ٢٤٧)-: (كنت أماشيه يوماً فقرأت شيئاً من القرآن، فقال: يُمكنني أن أقول مثل هذا).

٤- وقال أبو عمر بن حيويه - وهو ممن عاصره وشاهد قتله - كما في ((لسان الميزان)) لابن حجر (٣/ ٢١١): (لَمَّا أُخْرِجَ حُسَيْنُ الْحَلَّاجِ لِيُقْتَلَ مَضِيَتْ فِي جُمْلَةِ النَّاسِ، وَلَمْ أَزَلْ أَزَاحِمُ النَّاسَ حَتَّى رَأَيْتُهُ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَا يَهُوَلَنَّكُمْ هَذَا؛ -يعني: الموقف الذي ترؤني فيه- فَإِنِّي عَائِدٌ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، ثُمَّ قُتِلَ). قال ابن حجر العسقلاني: (رواها عنه عبيد الله بن أحمد الصيرفي، وإسنادها صحيح)، والقصة أوردتها الخطيب البغدادي في ((تاريخه)) (٨/ ٧١٠) بسنده.

٥- وقال أبو بكر بن ممشاذ - وهو ممن عاصر الحلاج - كما رواه الخطيب البغدادي بسنده في ((تاريخ بغداد)) (٨/ ٧٠٦): (حضر عندنا بالدينور رجلٌ ومعه مخلاةٌ (وهي كيس يجعل فيه الخلى وهو العشب ونحوه)، فما كان يُفارقها بالليل ولا بالنهار، ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتاباً للحلاج عنوانه: من الرحمن الرحيم إلى فلان ابن فلان، فوجه إلى بغداد، قال: فأحضر، وعرض عليه، فقال: هذا خطي وأنا كتبته، فقالوا: كنت تدعي النبوة، فصرت تدعي الربوبية؟ فقال: ما أدعي الربوبية، ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكاتب إلا الله، وأنا واليد فيه آله؟!).

هل كان الحلاج رافضياً إسماعيلياً قرمطياً؟

رغم أن الحلاج معدودٌ من غلاة الصوفيَّة، إلا أن هناك ما يدلُّ على أنه سلك مسلك الإسماعليَّة، وفيما يأتي ذكرُ أقوالِ بعضِ العلماءِ التي تُثبتُ عقيدته الباطنيَّة:

١- قال المُحسن التَّنُوخِيُّ الحنفيُّ في ((نشوار المحاضرة)) (١ / ١٦٩):
(أخبرني بعض أصحابه من الكتاب، قال: خرج له توقيعٌ -أي: رسالةٌ أو رُقعةٌ بتوقيعه- إلى بعض دُعائه، تلاه عليّ، فحفظتُ منه قوله فيه: وقد آن الآن أو أنك، للدولة الغراء، الفاطميَّة الزهراء، المحفوفة بأهل الأرض والسَّماء، وأذن للفئة الظَّاهرة مع قوَّة ضَعْفِها في الخروجِ إلى خراسان؛ ليكشفَ الحقُّ قناعه، ويبسطَ العدلُ باعه).

٢- وقال أيضًا في ((نشوار المحاضرة)) (١ / ١٦١): (حدثني أبو الحسن بن الأزرقي، قال: لَمَّا قَدِمَ الحَلاجُ بَغدادَ يَدْعُو، اسْتَعْوَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ والرُّؤساءِ، وكان طَمَعُهُ في الرَّافِضَةِ أقوى؛ لِذِخْوَلِهِ مِنْ طَرِيقِهِمْ).

٣- وقال ابنُ الجوزيِّ الحنبليُّ في ((المنتظم)) (١٣ / ١٤٣): (لَمَّا أُلْقِيَ القَبْضُ عَلَيْهِ وَجَدُوا مَعَهُ كُتُبًا وَرِقا عًا فِيها أَشياءُ مَرْموزَةٌ، وَنُودِيَ: هَذَا أَحَدُ دُعَاةِ القَرَامِطَةِ فَاعْرِفُوهُ). وَنَقَلَهُ الذَّهَبِيُّ فِي ((السِّيرِ)) (١٤ / ٣٢٧)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي ((البداية والنهية)) (١١ / ١٣٧).

٤- وقال أيضًا (١٣ / ٢٠٤): (قال الصُّوليُّ: وقيل: إنَّه كان يَدْعُو فِي أوَّلِ أمرِهِ إلى الرِّضا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ) -أي: يَدْعُو إلى التَّشيعِ.

٥- وقال شمسُ الدِّينِ الذَّهَبِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي كِتابِهِ ((سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ)) (٢٧ / ٣٨٤): (وكان في الكتبِ عَجائبٌ مِنْ مُكاتباتِهِ إلى أصحابِهِ النافِذِينَ إلى

النَّوَّاحِي، يُوصِيهِمْ بِمَا يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَيْهِ، وَمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنْ نَقْلِهِمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَرُتْبَةٍ إِلَى رُتْبَةٍ، وَأَنْ يُخَاطَبُوا كُلُّ قَوْمٍ عَلَى حَسَبِ عُقُولِهِمْ، وَقَدْرِ اسْتِجَابَتِهِمْ وَانْقِيَادِهِمْ، وَأَجَابَ بِالْفَافِظِ مَرْمُوزَةً، لَا يَعْرِفُهَا غَيْرُ مَنْ كَتَبَهَا وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ، وَفِي بَعْضِهَا صُورَةٌ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ عَلَى تَعْوِيجٍ، وَفِي دَاخِلِ ذَلِكَ التَّعْوِيجِ مَكْتُوبٌ: عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ).

٦- وَقَالَ ابْنُ النَّدِيمِ فِي ((الْفَهْرَسْتِ)) (ص: ٢٦٩): (إِنَّ الْحَلَّاجَ كَانَ يُظْهِرُ مَذَاهِبَ الشَّيْعَةِ لِلْمُلُوكِ، وَمَذَاهِبَ الصُّوفِيَّةِ لِلْعَامَّةِ، وَيَدَّعِي أَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ قَدْ حَلَّتْ فِيهِ).

٧- وَجَاءَ فِي كِتَابِ ((غَيْبَةِ الطُّوسِيِّ)) (ص: ٢٦٢) بِرَوَايَةِ الطُّوسِيِّ -نَقْلًا عَنْ كِتَابِ ((الصَّلَاةَ بَيْنَ التَّصَوُّفِ وَالتَّشْيِيعِ)) (ص: ٤٠١) لِكَامِلِ الشَّيْبِيِّ -: (أَنَّ الْحَلَّاجَ صَارَ إِلَى قُمَّ، فَكَانَ قَرَابَةَ أَبِي الْحَسَنِ -النُّوبَخْتِيِّ الشَّيْعِيِّ- يَسْتَدْعِيهِ وَيَسْتَدْعِي أَبَا الْحَسَنِ أَيْضًا، وَيَقُولُ: أَنَا رَسُولُ الْإِمَامِ وَوَكِيلُهُ، فَطَرَدَهُ ابْنُ بَابُوِيَه مِنْ دَارِهِ).

٨- وَقَالَ كَامِلُ الشَّيْبِيِّ فِي كِتَابِ ((الصَّلَاةَ بَيْنَ التَّصَوُّفِ وَالتَّشْيِيعِ)) (ص: ٤٠٢): (يَذْكُرُ لَنَا ابْنُ زَنْجِيِّ مَشْرَبًا إِسْمَاعِيلِيًّا ظَاهِرًا فِي الْحَلَّاجِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ وَجَدَ بَيْنَ أَوْرَاقِهِ وَثَائِقَ تُثَبِّتُ صِلَتَهُ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ: «وَكَانَ فِي الْكُتُبِ الْمَوْجُودَةِ عَجَائِبُ مِنْ مَكَاتِبَاتِهِ أَصْحَابَهُ النَّافِذِينَ إِلَى النَّوَّاحِي تَوْصِيَهُمْ بِمَا يَدْعُو النَّاسَ، وَيَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنْ نَقْلِهِمْ مِنْ حَالٍ إِلَى أُخْرَى، وَمَرْتَبَةٍ إِلَى مَرْتَبَةٍ، حَتَّى يَبْلُغُوا الْغَايَةَ الْقُصْوَى، وَأَنْ يُخَاطَبُوا كُلُّ قَوْمٍ عَلَى حَسَبِ عُقُولِهِمْ وَأَفْهَامِهِمْ، وَعَلَى قَدْرِ اسْتِجَابَتِهِمْ وَانْقِيَادِهِمْ»، وَتِلْكَ هِيَ مَرَاتِبُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَتِلْكَ هِيَ طَرِيقَتُهُمْ فِي بَثِّ دَعْوَتِهِمْ

كما لا يخفى. وكان بين الأوراق أيضًا كتاب فيه «صورة فيها اسم الله مكتوب على تعويج، وفي داخل ذلك التعويج مكتوب: علي عليه السلام، كتابة لا يقف عليها إلا من تأملها»، وتلك أسرار الإسماعيلية وأسلوبهم في نشر الدعوة. وقد كانت إسماعيلية الحلاج وثبوت اتصاله بالقرامطة -الذين هم من الإسماعيلية-؛ السبب المباشر في قتله).

هل كان الحلاج ساحرًا؟

١- قال أبو يعقوب الأقطع -كما رواه الخطيب البغدادي في ((تاريخ بغداد)) (٨ / ٦٩٩) بسنده عنه-: (زوّجت ابنتي من الحسين بن منصور؛ لما رأيت من حسن طريقته واجتهاده، فبان لي بعد مدة يسيرة أنه ساحرٌ مُحْتالٌ، خبيثٌ كافرٌ).

٢- وقال ابن النديم في ((الفهرست)) (ص: ٢٣٦): (قرأت بخط أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر طيفور: كان رجلاً مُحْتالًا مُشْعَبِدًا، يتعاطى مذاهب الصوفية، يتحلّى بألفاظهم، ويدّعي كلّ علم، وكان صفرًا من ذلك، وكان يعرف شيئًا من صناعة الكيمياء).

٣- وروى الخطيب البغدادي في ((تاريخ بغداد)) (٨ / ٦٩٨) بإسناده إلى علي بن أحمد الحاسب، قال: (سمعتُ والدي يقول: وجّهني المعتضدُ إلى الهندِ لأُمورٍ أتعرفُها؛ ليَقِفَ عليها، وكان معي في السفينة رجلٌ يُعرفُ بالحسين بن منصور، وكان حسنَ العشرة طيبَ الصُّحبة، فلمّا خرَجنا من المركبِ ونحن على

الساحل، والحمَّالون يَنْقَلُونَ الثِّيَابَ مِنَ الْمَرْكَبِ إِلَى الشَّطِّ، فَقُلْتُ لَهُ: إِيْشَ جِئْتُ إِلَى هَاهُنَا؟ قَالَ: جِئْتُ لِأَتَعَلَّمَ السِّحْرَ، وَأَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى (!).

٤ - وَنَعَتَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ فِي ((الْمَسَالِكِ فِي شَرْحِ مُوطَّأَ مَالِكٍ)) (٣/ ٤٠٣) بِ(الْحَلَّاجِ السَّاحِرِ الْكَافِرِ).

٥ - وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي ((الْعَبْرَ فِي خَبَرِ مَنْ غَبَرَ)) (١/ ٤٥٥): (سَافَرَ إِلَى الْهِنْدِ وَتَعَلَّمَ السِّحْرَ، فَحَصَلَ لَهُ بِهِ حَالٌ شَيْطَانِيٌّ، هَرَبَ مِنْهُ الْحَالُ الْإِيمَانِيُّ، ثُمَّ بَدَتْ مِنْهُ كُفْرِيَّاتٌ أَبَاحَتْ دَمَهُ، وَكَسَرَتْ صَنَمَهُ، وَاشْتَبَهَ عَلَى النَّاسِ السِّحْرَ بِالْكَرَامَاتِ، فَضَلَّ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ). وَقَالَ فِي ((مِيزَانَ الْإِعْتِدَالِ)) (١/ ٥٠١): (الْحَلَّاجُ الْمَقْتُولُ عَلَى الزَّنَدَقَةِ... تَأَلَّهَ وَتَصَوَّفَ، ثُمَّ انْسَلَخَ مِنَ الدِّينِ، وَتَعَلَّمَ السِّحْرَ، وَأَرَاهُمْ الْمَخَارِيقَ).

٦ - وَقَالَ كَامِلُ الشَّيْبِيِّ فِي كِتَابِ ((الصَّلَاةِ بَيْنَ التَّصَوُّفِ وَالتَّشْيِيعِ)) (ص: ٤٠٧) نَاقِلًا عَنْ ((أَرْبَعَةَ نُصُوصٍ)) لِلْحَلَّاجِ - حَقَّقَهَا مَاسِينِيونَ -: (وَقَدْ اشْتَهَرَ عَنِ الْحَلَّاجِ أَنَّهُ «يُحْيِي الْمَوْتَى، وَأَنَّ الْجِنَّ يَخْدُمُونَهُ، وَيُحْضِرُونَهُ مَا يَخْتَارُ وَيَشْتَهِيهِ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ أَحْيَا عِدَّةً مِنَ الطَّيْرِ، وَكَانَ ذَلِكَ بِمَعْرِفَتِهِ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمِ كَمَا رَوَى الرَّفَاعِيُّ». وَرَوَوْا عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مُمَارِسًا لِلْسِّحْرِ وَالنِّيرُنَجَاتِ). وَالنِّيرُنَجَاتُ: كَلِمَةٌ أَصْلُهَا فَارْسِيٌّ، وَهِيَ مِنْ طَلَايِمِ السَّحْرَةِ.

آراء العلماء وأهل التاريخ والتراجم في الحلاج:

١ - قَالَ ابْنُ النَّدِيمِ (ت: ٣٨٠) فِي كِتَابِهِ ((الْفَهْرَسْتُ)) (ص: ٢٣٦): (يَدَّعِي عِنْدَ أَصْحَابِهِ الْإِلَهِيَّةَ، وَيَقُولُ بِالْحُلُولِ، وَيُظْهِرُ مَذَاهِبَ الشَّيْعَةِ لِلْمُلُوكِ، وَمَذَاهِبَ

الصُّوفِيَّةِ لِلْعَامَّةِ، وَفِي تَضَاعِيفِ ذَلِكَ يَدَّعِي أَنَّ الْإِلَهِيَّةَ قَدْ حَلَّتْ فِيهِ، وَأَنَّهُ هُوَ هُوَ،
تَعَالَى اللَّهُ وَجَلَّ وَتَقَدَّسَ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ عُلُوءًا كَبِيرًا).

٢- وَقَالَ ابْنُ مَسْكُوتَيْهِ (ت: ٤٢١) فِي كِتَابِهِ ((تَجَارِبِ الْأُمَمِ)) (٥ / ٨٦):
ظَهَرَ عَنْهُ بِالْأَهْوَاِزِ وَبِمَدِينَةِ السَّلَامِ: أَنَّهُ ادَّعَى أَنَّهُ إِلَهٌ، وَأَنَّهُ يَقُولُ بِحُلُولِ
اللَّاهُوتِ).

٣- وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْبَغْدَادِيُّ (ت: ٤٢٩) فِي كِتَابِهِ ((الْفَرْقَ بَيْنَ الْفِرَقِ))
(ص: ٢٤٨): (ظَفَرُوا بِكُتُبِ أَتْبَاعِهِ إِلَيْهِ؛ وَفِيهَا: يَا ذَاتَ الذَّاتِ، وَمُنْتَهَى غَايَةِ
الشَّهَوَاتِ، نَشَهُدُ أَنَّكَ الْمَتَصَوِّرُ فِي كُلِّ زَمَانٍ بِصُورَةٍ، وَفِي زَمَانِنَا هَذَا بِصُورَةِ
الْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ، وَنَحْنُ نَسْتَجِيرُ لَكَ وَنَرْجُو رَحْمَتَكَ يَا عَلَّامَ الْغُيُوبِ).

٤- وَقَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ (ت: ٥٠٥) فِي كِتَابِهِ ((فَضَائِحِ الْبَاطِنِيَّةِ)) (ص:
١٠٩) عَنِ الْحَلَّاجِ: (كَانَ يَقُولُ: أَنَا الْحَقُّ، أَنَا الْحَقُّ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي وَقْتِ الصَّلْبِ:
{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} [النساء: ١٥٧]).

٥- وَنَقَلَ عَنْهُ فِي كِتَابِ ((الرَّدِّ الْجَمِيلِ)) (ص: ٦٨) أَنَّهُ قَالَ: (أَنَا اللَّهُ، وَمَا فِي
الْجُبَّةِ إِلَّا اللَّهُ).

٦- وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧) فِي ((تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ)) (ص: ١٧١) أَنَّهُ
كَانَ يَقُولُ عَنِ الْقُرْآنِ: (بِإِمْكَانِي أَنْ أُؤَلَّفَ مِثْلَهُ). وَقَدْ تَقَدَّمَ نَحْوُهُ.

٧- وَقَالَ ابْنُ أَنْجَبِ السَّاعِي (ت: ٦٧٤) فِي كِتَابِهِ ((أَخْبَارِ الْحَلَّاجِ)) (ص:
٧٧): (عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَالَ: بَاتَ الْحَلَّاجُ فِي جَامِعِ دِينَورَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ،
فَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَقَالَ: يَا شَيْخُ، مَا تَقُولُ فِيمَا قَالَ فِرْعَوْنُ؟ قَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ،

فقال: ما تقول فيما قال موسى؟ قال: كلمة حق؛ لأنهما كلمتان جرتا في الأبد كما جرتا في الأزَل).

٨- وجاء في ((تاريخ الإسلام)) للذهبي (ت: ٧٤٨) (٧/ ٢٠) -بتصرف يسير-: (ذكر ابن حوقل: أن الحلاج زعم أنه حل فيه روح الله الذي كان منه إلى عيسى ابن مريم عليه السلام، وزعم أنه كان يقول للشيء: كُنْ، فيكون).

حُكْمُ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ عَلَى الْحَلَّاجِ:

حَكَمَ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ وَالزَّنْدَقَةِ وَالشَّعْبَةِ عِدَّةٌ كَبِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ مِنْهُمْ:

١- القاضي عياض المالكي في ((الشفاء بتعريف حقوق المصطفى)) (ص: ٨٦٥) بقوله: (أجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية، وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه؛ لدعواه الإلهية، والقول بالحلول، وقوله: أنا الحق).

٢- وقال ابن الجوزي الحنبلي في ((المنتظم)) (٨/ ٢٧٦): (قُتِلَ بِإِجْمَاعِ فُقَهَاءِ عَصْرِهِ، وَأَصَابُوا فِي ذَلِكَ).

وقال في ((تلبس إبليس)) (ص: ١٥٤): (اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْعَصْرِ عَلَى إِبَاحَةِ دَمِ الْحَلَّاجِ، فَأَوَّلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ حَلَالُ الدَّمِ أَبُو عَمْرٍو الْقَاضِي، وَوَافَقَهُ الْعُلَمَاءُ... وَالْإِجْمَاعُ دَلِيلٌ مَعْصُومٌ مِنَ الْخَطَا).

٣- وقال ابن تيمية في ((جامع المسائل - المجموعة الرابعة)) (ص: ٣٨٤) في سياق فتوى له في حكم من يدافع عن الحلاج: (قُتِلَ ظَالِمًا غَيْرَ مَظْلُومٍ، وَقُتِلَ عَلَى الزَّنْدَقَةِ الَّتِي تُعْرَفُ حَالَهُ. وَإِنَّ الَّذِي قَالَهُ كُفْرًا بَاطِنًا وَظَاهِرًا يُوجِبُ قَتْلَهُ

بَاتِّفَاقِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عُلَمَائِهِمْ وَفُقَرَائِهِمْ، ...، وَلَا يَنْتَصِرُ لِلْحَلَّاجِ إِلَّا جَاهِلٌ بِحَالِهِ،
أَوْ مُنَافِقٌ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ).

وقال في ((مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى)) (٢ / ٤٨٠): (مَنْ اعْتَقَدَ مَا يَعْتَقِدُهُ الْحَلَّاجُ مِنْ
الْمَقَالَاتِ الَّتِي قُتِلَ الْحَلَّاجُ عَلَيْهَا، فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ
الْمُسْلِمِينَ إِنَّمَا قَتَلُوهُ عَلَى الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ مَقَالَاتِ أَهْلِ الزُّنْدَقَةِ
وَالِإِلْحَادِ، كَقَوْلِهِ: أَنَا اللَّهُ، وَقَوْلِهِ: إِلَهٌ فِي السَّمَاءِ وَإِلَهٌ فِي الْأَرْضِ).

وقال في ((الْفَتَاوَى الْكُبْرَى)) (٣ / ٤٨٠ - ٤٨٧): (الْحَلَّاجُ قُتِلَ عَلَى
الزُّنْدَقَةِ الَّتِي ثَبَّتَ عَلَيْهِ بِإِقْرَارِهِ، وَبَغَيْرِ إِقْرَارِهِ، وَالْأَمْرُ الَّذِي ثَبَّتَ عَلَيْهِ لَمَّا يُوجِبُ
الْقَتْلَ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ قُتِلَ بِغَيْرِ حَقٍّ فَهُوَ إِمَّا مُنَافِقٌ مُلْحِدٌ، وَإِمَّا
جَاهِلٌ ضَالٌّ. وَالَّذِي قُتِلَ بِهِ: مَا اسْتَفَاضَ عَنْهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ، وَبَعْضُهُ يُوجِبُ قَتْلَهُ،
فَضْلًا عَنْ جَمِيعِهِ).

٤- وقال الذَّهَبِيُّ فِي ((سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ)) (١٤ / ٣١٤): (تَبَرَّأَ مِنْهُ سَائِرُ
الصُّوفِيَّةِ وَالْمَشَايخِ وَالْعُلَمَاءِ؛ لِمَا سَتَرَى مِنْ سُوءِ سِيرَتِهِ وَمُرُوقِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَسَبَهُ
إِلَى الْحُلُولِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَسَبَهُ إِلَى الزُّنْدَقَةِ، وَإِلَى الشَّعْبَذَةِ)، وَقَالَ أَيْضًا (١٦ /
٢٦٥): (قُتِلَ الْحَلَّاجُ بِسَيْفِ الشَّرْعِ عَلَى الزُّنْدَقَةِ).

٥- وقال مُغْلَطَايَ الْحَنْفِيُّ فِي ((الْإِشَارَةَ إِلَى سِيرَةِ الْمَصْطَفَى وَتَارِيخِ مَنْ
بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ)) (ص: ٥٣٠): (الْحَلَّاجُ الزُّنْدِيقُ الْمَدَّعِي الرَّبُوبِيَّةَ).

٦- وقال ابنُ كَثِيرٍ الشَّافِعِيُّ فِي ((الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ)) (١١ / ١٥٣): (حُكِيَ عَنْ
غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَثَمَةِ إِجْمَاعُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، وَأَنَّهُ قُتِلَ كَافِرًا، وَكَانَ كَافِرًا

مُخْرِقًا مُمَوِّهَا مُشْعِبًا، وبهذا قال أكثرُ الصُّوفِيَّةِ فيه)، وقال في مَوْضِعٍ آخَرَ (١١ / ١٣٧): (قُتِلَ بِإِجْمَاعِ الْفُقَهَاءِ وَأَكْثَرِ الصُّوفِيَّةِ).

٧- وقال ابنُ خَلْدُونَ في ((تاريخه) (١ / ٦٢٤): (أفتى الفُقَهَاءُ وَأَكْبَرُ المَتصوِّفَةِ بِقَتْلِ الحَلَّاجِ).

٨- وقال ابنُ حَجَرِ العسْقلَانِي الشَّافِعِيُّ عنه في ((نزهة الألباب في الألقاب)) (١ / ٢٠٦): (الصُّوفِيُّ الَّذِي قُتِلَ عَلَى الزَّنْدُقَةِ).

٩- وقال الشُّوكَانِي كَمَا في ((الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني)) (٢ / ١٠٠٠): (أَمَّا الحَلَّاجُ فَهُوَ الفَاتِحُ لِبابِ الوَحْدَةِ الَّذِي شَغَلَ بِهَا ابنُ عَرَبِيٍّ وَأَهْلُ نَحْلَتِهِ عُمَرَهُ، وَمُقَدِّمُ القَافِلَةِ فِي هَذِهِ المَقَالَةِ الكُفْرِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ وُجِدَ بَعْضُ فِي أَهْلِهِ بَقِيَّةٌ خَيْرٍ وَحَمِيَّةٌ عَلَى الدِّينِ، فَقَطَّعُوا أَوْصَالَهُ الخَبِيثَةَ بِصَوَارِمِ الإِسْلَامِ، وَمَزَّقُوا مَنْ اسْتَهْوَاهُمْ بِشَعَابِذِهِ كُلَّ مُمَزَّقٍ؛ فَجَزَاهُمْ اللهُ خَيْرًا).

هذا هو الحَلَّاجُ، وَقَدْ غَلَّتْ فِيهِ فِتْنَانِ مِنَ النَّاسِ:

غَلَا فِيهِ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ أَصْحَابُ وَحْدَةِ الوُجُودِ وَالْحُلُولِ، وَعَدَّوْا هَذِهِ الكُفْرِيَّاتِ وَالخُزَعِبَاتِ مِنَ العِشْقِ الإِلَهِيِّ، كَذَا يَزْعُمُونَ!

وَعَلَا فِيهِ -تَبَعًا لِلْمُسْتَشْرِقِينَ- بَعْضُ الكُتَّابِ والرُّوَائِيْنَ العَرَبِ الَّذِينَ تَشَرَّبُوا التَّمَرْدَ عَلَى الدِّينِ، وَعَلَى المَجْتَمَعَاتِ وَالْأوطَانِ؛ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الحَلَّاجَ رَمُزٌ لَهُمْ، وَأَنَّهُ قُتِلَ مَظْلُومًا عَلَى أَيْدِي الحُكَّامِ المَسْتَبِدِّينَ كَمَا يَنْعَتُونَهُمْ!

وَقَدْ نَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ العُلَمَاءِ أَنَّ الحَلَّاجَ كَانَ مُتَمَرِّدًا مُتَهَوِّرًا، يَرُومُ إِفْسَادَ الدُّوَلِ وَقَلْبَ الشَّرِيعَةِ؛ مِنْهُمْ ابنُ خَلْكَانِ في ((وفيات الأعيان)) (٢ / ١٤٦) عَنِ

الجويني في كتابه ((الشامل))؛ قال: (إن هؤلاء الثلاثة -يعني الحلاج، والجنابي، وابن المقفع- تَوَاصَوْا على قلبِ الدولة، والتَّعَرَّضَ لِإفْسَادِ المَمْلَكَةِ، واستِعْطَافِ القُلُوبِ واستِمَالَتِهَا، وارتادَ كُلُّ واحدٍ منهم قُطْرًا: أمَّا الجنابيُّ فأكنافَ الأحساء، وابنُ المقفَعِ توغَّلَ في أطرافِ بلادِ التُّركِ، وارتادَ الحلاجُ قُطْرَ بَغْدَادَ)، إلا أنَّ ابنَ خَلِّكَانِ استبَعَدَ أن يكون ابن المقفَعِ معهم.

وقال ابنُ النَّدِيمِ في ((الفهرست)) (ص: ٢٣٦): (قرأتُ بخطَّ أبي الحسينِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ أبي طاهرٍ: ... وكان جاهلاً مقداماً مُتَهَوِّراً جَسوراً على السَّلاطينِ، مُرْتَكِباً للعِظائمِ، يرومُ إقْلَابَ الدُّولِ).

لذلك نَصَحَ الوَزيْرُ حامدُ الخليفةِ العباسيِّ المقتدِرِ -كما ذَكَرَ التَّنُوخِيُّ في ((نشوار المحاضرة)) (١ / ١٦٤) - وقال له: (يا أميرَ المؤمنينَ، إن بقي قلبَ الشريعةِ، وارتدَّ خلقٌ على يده، وأدَّى ذلك إلى زوالِ سُلْطَانِكَ).

ولعلَّه اتَّصَحَ للقارِئِ الكَرِيمِ أسبابُ عنايةِ أعداءِ الإسلامِ بغِلاَةِ الصُّوفِيَّةِ عُمومًا وبالحلاجِ على وَجهِ الخُصُوصِ، ويُمكنُ تلخيصُ ذلك في ثلاثِ نِقاطٍ:
الأولى: إفسادُ عقائدهم وإبعادهم عن عقيدةِ الإسلامِ الصافيةِ النقيَّةِ مِنَ الشوائبِ والخُرْعِباتِ والشَّعوذَةِ.

الثانية: إخراجهم من نورِ الإسلامِ إلى ظُلُماتِ الكُفْرِ والإلحادِ، والحُلُولِ والاتِّحادِ.

الثالثة: إثارةُ الفوضى وإيجادُ شرخٍ بين المسلمين، بالتمردِ على دينِ الله تعالى وشرِّعه، وإحداثِ دينٍ جديدٍ لا صلةَ له بالإسلامِ، ولكنَّه محسوبٌ عليه.

وما زال بعض المسلمين -بله علماءهم- منذ مقتل الحلاج قبل ما يزيد على ألف عام إلى يومنا هذا مختلفين فيه اختلافاً بيناً؛ يُضلل بعضهم بعضاً فيه، رغم وضوح فساد عقيدته، ولو لم يكن من ثمرة لأعداء الإسلام غير هذه لكفتمهم!

وفي الختام:

أختم بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية، وشمس الدين الذهبي عن الحلاج وبيان ضلاله وزندقته وكفره الذي قتل بسببه، وعن اغترار بعض الناس به، وتوهمهم أنه قتل مظلوماً:

قال شيخ الإسلام في ((مجموع الفتاوى)) (٨ / ٣١٦): ((من الناس من يظهر أن الحلاج قتل باجتهادٍ فقهِيٍّ يُخالف الحقيقةَ الدوقيةَ التي عليها هؤلاء، وهذا ظنٌ كثيرٌ من الناس، وليس كذلك؛ بل الذي قتل عليه إنما هو الكفر، وقيل باتفاق الطائفتين، مثل: دعواه أنه يقدر أن يعارض القرآن بخيرٍ منه، ودعواه أنه من فاته الحجُّ أنه يبني بيتاً يطوفُ به ويتصدقُ بشيءٍ قدره، وذلك يسقطُ الحجَّ عنه. إلى أمورٍ أخرى تُوجبُ الكفرَ باتفاق المسلمين الذين يشهدون أن محمداً رسولُ الله: علماءهم، وعبادهم، وفقهاؤهم، وفقراءهم، وصوفيتهم...)).

وقال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (١٤ / ٣٤٥): ((فتدبر -يا عبد الله- نحلة الحلاج الذي هو من رؤوس القرامطة، ودعاة الزندقة، وأنصف، وتورع، واتق ذلك، وحاسب نفسك؛ فإن تبرهن لك أن شمائل هذا المرء شمائل عدو للإسلام، مُحِبٌّ للرئاسة، حريصٌ على الظهورِ باطلٍ وبحقٍّ، فتبرأ من نحلته. وإن تبرهن لك -والعياذُ بالله- أنه كان -والحالةُ هذه- مُحِقًّا، هادياً مهدياً، فجدد

إسلامك، واستغث بربك أن يوفقك للحق، وأن يثبت قلبك على دينه؛ فإنما الهدى نورٌ يقذفه الله في قلب عبده المسلم، ولا قوة إلا بالله).

وأخيراً:

أيها القارئ الكريم، عندما ترى شخصية الحلاج في هذا الزمان تبرز في موضع القدوة للأمة الإسلامية؛ فينبغي لك أن تتساءل: هل علم هؤلاء المتأخرون من أمر الحلاج ما لم يعلمه معاصروه، ولا علماء الأمة، ولا الصوفية، ولا المؤرخون؟ وهل سيخلصون إلى أقواله وحقيقة فكره من غير طريقهم؟! ثم إن كانت هذه أقواله كما أوقفناك على جملة منها، وعلى جملة من آراء العلماء وأهل التاريخ والتراجم فيها؛ فهل ستقبل أن يكون قدوةً وموجهًا لك، ولأولادك؟

ولا بد أن تعلم كذلك أن مسالك المبطلين في نشر الفساد إلا يباح بكل ما يتعلق به من مفسدة، ولكن تُعظم الجوانب الإيجابية أو تُختلق، ويُضاف معها بعض المواقف المشكّلة، ثم يُحبَّب صاحبها إلى الناس، وبعد ابتلاع الطعم يمكن للمعجب بالشخصية أن يستمر معهم ليدخل في الضلال تدريجياً، حتى يقبل بما لم يكن يقبله من قبل، وحتى يعقل ما لم يكن يعقله، والعاصمُ اللهُ!

وهكذا ترى -أخي الكريم- مثلاً وصفحة من صفحات إبراز ما يهدم الدين باسم بعض المنتسبين إليه كالحلاج، وعناية أعداء الإسلام بذلك.

وأنا أهمس في أذنك، ولعله يصل إلى قلبك بأن تأثير تحبيب الأشخاص إلى القلوب من أوسع الأبواب لترويج الباطل وتحبيبه للنفس؛ ولذا فكما أن الإسلام جاء بهدم معاني الباطل؛ فكم تضمّنت نصوصه هدم رموز الباطل

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

[١] من كتاب: ((عندما يكون العم سام ناسكاً)) لصالح حساب الغامدي

(ص: ١٢٠-١٢٤) بتصرف.

[٢] كلُّ هذه النقول من كتاب ((الأعمال الكاملة للحلاج)) لقاسم

محمد عبّاس، الناشر رياض الريس، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م. والمحقق باحث

ومثقف ورؤائي عراقي معاصر، توفي عام ٢٠١٨هـ، كان مهتماً بتحقيق كتب

المتصوِّفة أمثال: الحلاج والبسطامي وابن عربي والسهروردي، وغيرهم.